رسول الله ﷺ علمني

بشرح المهندس علاء حامد

ملخص

المحاضرة العاشرة

ملخص 10

وانتصر الغلام

قصة وانتصر الغلام (أصحاب الأخدود 3)

~ مقدمة ~

مرحبا بكم فى لقاء جديد مع مدارسة قصص النبى صلى الله عليه وسلم هذه القصص بمجموعها لم تترك شىء إلا وتناولته ،كل القضايا الكبرى المؤثرة فى حياة الإنسان وسلوكه فى الطريق إلى الله سيجد لها إشارة وتوضيح فى كلام النبى صلى الله عليه وسلم...

تابع قصة أصحاب الأخدود:

فجيءَ بِالغُلاَمِ، فَقَالَ لهُ المَلكُ: أىْ بُنَيَّ قدْ بَلَغَ منْ سِحْرِك مَا تبْرئُ الأكمَهَ والأبرَصَ وتَفْعلُ وَتفْعَلُ فقالَ: إنِّي لا أشْفي أَحَداً، إنَّما يشْفي الله تَعَالَى، فأخَذَهُ فَلَمْ يزَلْ يعذِّبُهُ حتَّى دلَّ عَلَى الرَّاهبِ، فجِئ بالرَّاهِبِ فَقيلَ لَهُ: ارجَعْ عنْ دِينكَ، فأبَى، فدَعا بالمنْشَار فوُضِع المنْشَارُ في مفْرقِ رأْسِهِ، فشقَّهُ حتَّى وقَعَ شقَّاهُ، ثُمَّ جيء بجَلِيسِ المَلكِ فقِيلَ لَهُ: ارجِعْ عنْ دينِكَ فأبَى، فوُضِعَ المنْشَارُ في مفْرِقِ رَأسِهِ، فشقَّهُ به حتَّى وقَع شقَّاهُ، ثُمَّ جيء بالغُلامِ فقِيل لَهُ: ارجِعْ عنْ دينِكَ، فأبَى، فدَفعَهُ إِلَى نَفَرٍ منْ أصْحابِهِ فَقَالَ: اذهبُوا بِهِ إِلَى جبَلِ كَذَا وكذَا فاصعدُوا بِهِ الجبلَ، فإذَا بلغتُمْ ذروتهُ فإنْ رجعَ عنْ دينِهِ وإلاَّ فاطرَحوهُ فذهبُوا بِهِ فصعدُوا بهِ الجَبَل فَقَالَ: اللَّهُمَّ اكفنِيهمْ بمَا شئْت، فرجَف بِهمُ الجَبَلُ فسَقطُوا، وجَاءَ يمْشي إِلَى المَلِكِ، فقالَ لَهُ المَلكُ: مَا فَعَلَ أَصحَابكَ؟ فقالَ: كفانيهِمُ الله تعالَى، فدفعَهُ إِلَى نَفَرَ منْ أصْحَابِهِ فَقَالَ: اذهبُوا بِهِ فاحملُوه في قُرقُور وَتوسَّطُوا بِهِ البحْرَ، فإنْ رَجَعَ عنْ دينِهِ وإلاَّ فَاقْذفُوهُ، فذَهبُوا بِهِ فَقَالَ: اللَّهُمَّ اكفنِيهمْ بمَا شِئْت، فانكَفَأَتْ بِهِمُ السَّفينةُ فغرِقوا، وجَاءَ يمْشِي إِلَى المَلِك. فقالَ لَهُ الملِكُ: مَا فَعَلَ أَصحَابكَ؟ فَقَالَ: كفانِيهمُ الله تعالَى. فقالَ للمَلِكِ إنَّك لسْتَ بقَاتِلِي حتَّى تفْعلَ مَا آمُرك

بِهِ. قَالَ: مَا هُوَ؟ قَالَ: تجْمَعُ النَّاس في صَعيدٍ واحدٍ، وتصلُبُني عَلَى جذْعٍ، ثُمَّ خُذ سهْماً مِنْ كنَانتِي، ثُمَّ ضعِ السَّهْمِ في كَبدِ القَوْسِ ثُمَّ قُل: بسْمِ اللَّهِ ربِّ الغُلاَمِ ثُمَّ ارمِنِي، فإنَّكَ إذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ قَتَلْتنِي. فجَمَع النَّاس في صَعيدٍ واحِدٍ، وصلَبَهُ عَلَى جذْعٍ، ثُمَّ أَخَذَ سهْماً منْ كنَانَتِهِ، ثُمَّ وضَعَ السَّهمَ في كبِدِ القَوْسِ، ثُمَّ قَالَ: بِسْم اللَّهِ رَبِّ الغُلامِ، ثُمَّ رمَاهُ فَوقَعَ السَّهمُ في صُدْغِهِ، فَوضَعَ يدَهُ في صُدْغِهِ فمَاتَ. فقَالَ النَّاسُ: آمَنَّا بِرَبِّ الغُلاَمِ، فَأُتِىَ المَلكُ فَقِيلُ لَهُ: أَرَأَيْت مَا كُنْت تحْذَر قَدْ وَاللَّه نَزَلَ بِك حَذرُكَ. قدْ آمنَ النَّاسُ. فأَمَرَ بِالأخدُودِ بأفْوَاهِ السِّكك فخُدَّتَ وَأضْرِمَ فِيها النيرانُ وقالَ: مَنْ لَمْ يرْجَعْ عنْ دينِهِ فأقْحمُوهُ فِيهَا أوْ قيلَ لَهُ: اقْتَحمْ، ففعَلُوا حتَّى جَاءتِ امرَأَةٌ ومعَهَا صَبِيٌّ لهَا، فَتقَاعَسَت أنْ تَقعَ فِيهَا، فَقَالَ لَهَا الغُلاَمُ: يَا أمَّاهْ اصبِرِي فَإنَّكِ عَلَى الحَقِّ.

حينما بدأت تظهر كرامات للغلام قال له الراهب إذا ابتليت فلا تدل على وكاد الأمر أن يمر فى الخفاء لولا قصة جليس الملك وهذا يدل على أن الغلام استمر على دعوته فى الخفاء ولم يختار المواجهة ولكنه اضُطر إليها واختيار الغلام طبيعى وهو اختيار الدعاة والأنبياء فى أزمنة الاستضعاف العمل يكون غالبا فى الخفاء والدعوة تكون سرية لفترة طويلة إلى أن يكون هناك قوة ثم نقيس موازين القوة والضعف ثم نحدد بعدها هل نستطيع التغيير أم لا ؟ فهذا الغلام يعبر عن الدعوة كلها فى هذا الزمان وكان اختياره لعدم المواجهة هو الاختيار الأول ثم أُقحم فى اختيارات أخرى وكان هذا هو اختيار الله عزوجل له ..
عندما ساعد الغلام جليس الملك تأثر الجليس بدعوة الغلام وهذا الجليس من أعجب الشخصيات فعند النظر لشخصية الراهب والغلام نجد أن إيمانهم كان قوى جدا لكن هذا الجليس كيف تحول فى يوم وليلة لمثل إيمان الراهب والغلام؟ كيف استطاع أن يواجه الملك ويقول له ربى وربك الله،هذا الجليس يذكرنا بسحرة فرعون تماماً.

كيف حدثت هذه النقلة الضخمة؟

- نقول أن هذه النقلة الضخمة لشخص من لاشيء إلى كل شيء يكون بسبب أثر عميق لم يصل لغيره بمعنى الغلام والراهب كان إيمانهم يزداد بشكل تدريجى بيطلب علم يتعبد فيزاد إيماناً أما هذا الجليس وسحرة فرعون تعرضوا لموقف رهيب وتعرضوا لضغطة كانت سبب فى نقلهم إلى قوة إيمانية عالية.
- كما أنه هناك فائدة عظيمة نتعلمها وهى النظر للإيمان كيف يغير النفوس هذا الرجل كان يتحدث فى المال والدنيا واليوم يواجه الملك ويقول له ربى وربك الله فهذا هو الإيمان إذا خالطت بشاشته القلوب فيرى الإنسان الدنيا على حقيقتها على ذلك نقيس إيمانك أنت هل تغير منظورك للدنيا مثل السحرة وجليس الملك ؟ لأن الإيمان ليس بالكلام وإنما له تأثير على التصورات والاختيارات والسلوك ...

عندما آمن جليس الملك عاد مرة أخرى للملك وهذا ينقلنا لمفهوم جديد أنه ليس كل مجالسة للظالمين ظلم وتعتبر إعانة على الظلم وإنما بحسب نية الجالس ،فجليس الملك يعرف ما سيحدث له وعنده إستعداد للمواجهة والتغيير وهذا يدلك على سبب رجوعه للظالمين لأنه لديه "نـيـة" ورغبة فى التغيير وإرادة إصلاح ويرى أن منصبه سوف يساعده فى الدعوة والتغيير وعلى أقل التقدير تقليل شر وظلم الملك.

- فمن هذه القصة نستدل أن هذا الأمر مشروع لأن النبى صلى الله عليه وسلم لم ينكر أن هذا الرجل عاد وجلس مع الملك فهذا يدل على أن الإنسان عندما يكون فى بلد فيه ظلم ولديه منصب فيها نقول إن كان هذا المنصب يستطيع أن يقلل الشر أو يدعوا إلى الله أو يغير الواقع حوله أو يقلل الفساد وفى نفس الوقت لا يساعد على الظلم الذى فيه فإن كانت نيته بهذه الطريقة فهو جائز ،أما إذا كان

وجوده يعين على الظلم ولا يغير شىء فلا يشرع له وفى هذا الصدد قصة مؤمن آل فرعون كان جليس لفرعون وحافظ على مكانه وما هو أكبر من ذلك موسى عليه السلام تربى فى قصر فرعون وكبر ووعى ظلم فرعون وظل فى القصر لأنه يوجد أثر إيجابى لموسى لأنه كان يحمى بنى إسرائيل ويستثمر قربه من فرعون فى حماية بنى إسرائيل من ظلم فرعون وقيل إن مؤمن آل فرعون هو الذى جاء لموسي وأخبره أن الملك يأتمرون به ليقتلوه فكان وجوده فى قصر فرعون فى ذلك حماية للدعوة وحماية موسى عليه السلام كلمة واحدة قالها كانت سبب لتغيير العالم لأن كل شىء تغير بسبب موسى.

عندما بدأ الملك يعذب جليسه قال الملك للجليس من الذى رد عليك بصرك ؟ فإن كان هو رب لا يسأل هذا السؤال
وعذب الجليس عذاباً شديداً حتى دل على الغلام وهذا فيه أن الأمر جائز إذا عُذب المرء عذاباً شديداً حتى لو دل على شخص صالح .
نتعلم أيضاً أن الله عزوجل يبتلى أحب الناس إليه وفى القصة كان أحب الناس إليه الراهب والغلام وذاقوا من البلاء ما ذاقوا وهذه هى سنة الله فى أوليائه ولكن لماذا يبتليهم الله؟!لأنه يحبهم ولكى يرى منهم عبادات لا تُرى إلا بالبلاء كالصبر والإستعانة واليقين بالله وحسن التوكل عليه وهو فى نفس الوقت لا يضرهم بل يكفر ذلك من سيئاتهم ورفع درجاتهم والمصيبة قد تأتى فى الدين أو فى الدنيا ومصائب الدنيا تهون بالزهد واليقين وانظر لهذه القاعدة الذى وضعها النبى صلى الله عليه وسلم «إن لم يكن بك على غضب فلا أبالى غير أن عافيتك هى أوسع لى».
عندما وصل الغلام للملك حاول الملك استمالته عكس الجليس لأن شخصية الغلام مؤثرة بالنسبة للعام وقد يستفيد منه الملك لمصلحته وتوطيد ملكه وهذه محاولة المجرمين الأولى فى إحتواء الصالحين وهنا

لم يختار الغلام اختيار الجليس ويكون بقرب من الملك وذلك لأن القرب هنا يساوى التنازل وجليس الملك كان قرب بدون تنازل مع إحتمالية وجود إصلاح ،أما الغلام فقربه يساوى التنازل عن الثوابت فرفض الإحتواء لأنه سيؤدى التنازل عن الثوابت.

ما نتعلمه أيضاً أن الإنسان لا يتمنى حدوث البلاء ولكنه إذا حدث يكون لديه معرفة أنه وارد ويجب على الإنسان أن يتقبله من غير مفاجئة لأنه سنة الله فى الأنبياء والصالحين وسنة من قبلنا.

عند تأمل ثبات الراهب ورفضه أن يرتد عن الدين نقول لماذا لم يرتد عن الدين ؟

- الإحتمال الأول: أن الإكراة لم يكن معتبر فى هذا الزمن

أى أن الإكراة كان رخصة لأمة النبى صلى الله عليه وسلم فقط واستدل على ذلك بعض العلماء بحديث النبى صلى الله عليه وسلم« إن الله تجاوز عن أمتي الخطأ والنسيان وما استُكرهوا عليه».

- الإحتمال الثانى: أنه كان فى رخصة ولكن هذا الرجل داعية فكان لا ينبغى أن يترخص لأن ذلك سيترتب عليه ضرر كبير ويجب أن يثبت لأن الناس تقتدى به لذلك الإمام أحمد رضى الله عنه كان يجلد فى فتنة خلق القرآن ليقول أن القرآن مخلوق فكان يأبى وثبت لأكثر من سنتين ونصف يتعذب ولكنه ثبت لأنه عندما أخذوه للعذاب قابل رجل فقال له اثبت فإنك إن قولت بذلك قال به خلق كثير من بعدك.

من الأشياء المعينة على ثبات جليس الملك هو ثبات الراهب فعدم ترخص الراهب كان سبب لإنقاذ من بعده.

الفوز الحقيقى هو الثبات على المبادئ ،الفوز الحقيقى فى الثبات على الدين فى أزمنة الفتن سواء كان هناك عذاب أو قلة تمكين،معايير الفوز الحقيقية هى ما يكون فى قلبك من صبر وثبات.

عندما أراد الملك قتل الغلام أخذه جنود الملك على الجبل فقال الغلام اللهم اكفينيهم بما شئت وكيفما شئت إنك على ما تشاء قدير وهذا ثقة عجيبة فى الله عزوجل والتفويض التام لله وهذا نتعلم منه فى الدعاء عندما تدعوا الله بزوجة صالحة وأنت فى تفكيرك امرأة معينة لا تقول لماذا لم يستجيب الله لأنك أفترضت على الله كيفية وهذا ليس من حقك فوض لله أمرك..

عندما أخذه الجنود على قمة الجبل حدث زلزال عظيم ولم يُقتل الغلام

فلماذا الزلازل ؟

- الزلازل لعل الملك يتعظ ويتأثر لأنه فى أشياء كونية الملوك أنفسهم يقفوا عاجزين أمامها فهناك من الأحداث الكونية تبهت أى طاغية مثل الفياضات والبراكين والعواصف.

عندما نجى الغلام عاد مرة أخرى للملك وتفاجئ الملك بدخوله فسأل عن الجنود فتركه الغلام فى وضع الذليل فوضعه فى موقف غاية الإحراج فأنت أيها الملك لا تعرف أين هم جنودك وماذا حدث فقال الغلام كفنيهم الله فوضع الملك فى موقف شديد الصعوبة فعودة الغلام لأن الدعوة لم تتم بالطبع كان هناك مؤمنين ولكن لا يكفوا واختفاء الغلام سيضر الدين وهنا نقول أن مصلحة الدين مقدمة على مصلحة النفس وإذا تعارضت مصلحة الدين على مصلحة النفس تقدم مصلحة الدين.

عندما أخذ الجنود الغلام وحاولوا قتله ورميه فى البحر فلم ينجحوا فقال للملك إنك لست بقاتلى حتى تفعل ما آمرك به وقال هذا بإلهام من الله عزوجل وهذه من كرامات الله لأوليائه الصالحين أن يقع فى قلبهم شىء هو موقع اليقين وهنا استجاب الملك له من شدة الهزيمة النفسية وعند قتله

قال بسم الله رب الغلام وقتل الغلام بالفعل وهنا ضحى الغلام بنفسه من أجل الدعوة وهنا كان لديه احتمالين أن يسلم جسده ويظل الناس كفار أو أن يموت وتؤمن الناس ففعل ذلك نصرة للدين وهذا ليس إنتحار بل هى شهادة.

أن تكون فى المنهج الصحيح فهذا فيه كمال الرعاية والأمان قال الله تعالى ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي ۚ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ وخروجك عن المنهج الصحيح فهذا هو الخطر بعينه.

عندما حفروا للناس أخاديد وصلت النيران للسماء وفى رواية أن النساء خافت هى والذرية فقال لهم الرجال لا نار بعد اليوم كلمة تثبت النساء والذرية وقيل أنهم كانت تُقبض أرواحهم قبل أن يلقوا فى النار وهذا معنى القاعدة التى كنا قد تحدثنا عنها من قبل أن الله يبتليك ليرى منك أمراً فإن رأه رفع الإبتلاء.

- قيل فى الرواية أن هناك امرأة تقاعست لأن لديها رضيع فنطق الغلام فقال لها اصبرى يا أمة الله فإنك على الحق فثبتت وألقت بنفسها وولدها فى النار وهنا نستفيد أنه عندما يزيد البلاء عن الإيمان يأتيك المدد يزود إيمانك ويكافئ البلاء.

الإبتلاء كان على مقاس إيمانهم جميعاً إلا واحدة فكان لها عرض خاص وثبتها الله.

- قيل أن النار بعد قتل المؤمنين أحاطت بالكافرين وأحرقتهم جميعا فى رواية الترمذى.
- وأخيرا يالا فرحة الراهب عند الله عندما تأتيه قرية مؤمنة فى ميزانه لأنه لم يزهد فى الغلام فقد يكون الغلام الذى بين يديك وأنت زاهد فيه هو قائد العالم فلا تزهدوا فى الغلمان فمنهم قادة، سائدة،..